مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 2 خ / 16 /03/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

العلمانية سبيل الحداثة في مشروع محمد أركون

Secularism is the path of Islamic modernity in the project of Muhammad Arkoun

1-أ/بورنان مصطفى Bouranae Mostafa mostaphabouranane@gmail.com	فلسفة إسلامية	-مختبر المجتمع الجزائري المعاصر ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 ،الجزائر
2-د/زروخي شريف Cherif Zaroukhi cherifz@outlook.fr	فلسفة عربية معاصرة	-مختبر المجتمع الجزائري المعاصر ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 ،الجزائر

DOI : 10.46315/1714-010-002-009

الإرسال: 2020/03/19 **القبول**: 2020/10/01 **النشر**: 2021/03/16

ملخص: الهدف من هذه الورقة البحثية هو الوقوف عند مفهوم العلمانية وواقعها في الوطن العربي والإسلامي من وجهة نظر محمد أركون الذي يرى فيها أنها حتمية وضرورة يجب أن تجسد في مجال الفكر الإسلامي لما تضفيه – العلمنة-من توسيع لمجال الحرية الفكرية والنقدية وفتح مجال للتفكير الحر غير المقيد بأي مقدس أو تقديس ،مجال يمنح الحق المسلوب في المعرفة والفهم ،مجال يحترم إرادة كل مناضل للوصول إلى المعرفة والفهم ،كما تسير بنا العلمانية حسب أركون إلى الحداثة الإسلامية فهي مفتاح بلوغ الحداثة ومفتاح تحديث الفكر الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: محمد أركون ،العلمانية ،الدين ،الأصولية،الحداثة،التفكير الحر.

Abstract: The objective of this research paper is to examine the concept of secularism and its reality in the Arab and Islamic world from the point view of Muhammad Arkoun, who believes that it is inevitable and necessity that must be embodied in the field of Islamic thought . it given the expansion of the field of intellectual and critical freedom and the opening of a field of free thinking that is not restricted by any sanctuary or sanctities.

An area in which a stolen right to knowledge and understanding is granted. An area that respects the will of every struggling person to gain access to knowledge and understanding, As secularism moves us, according to Arkoun ,to Islamic modernity, it is the key to attainment of modernity and the key to modernization of Islamic thought.

Key words: Muhammad Arkoun ,secularism , religion, fundamentalism, modernity, freedom thought

مقدمة :

إن الناظر والمتتبع لمخرجات الساحة الفكرية العربية والإسلامية من مؤلفات وأفكار يظهر له بوضوح بروز مفاهيم يمكن القول عليها أنها باتت تمثل إشكالات جوهرية في الساحة الفكرية الإسلامية نظرا لذلك الجدل الكبير الذي يدور حولها والتي من بينها مفهوم الحداثة وكذلك مفهوم العلمانية، هذين الأخيرين اتصفت كتابات بعض المفكرين بهما، ولعل من بين أبرز من تطرق لهما بإسهاب كبير نجد المفكر الجزائري محمد أركون الذي تتحدث جل كتبه حول الحداثة والعلمنة وضرورة تحديث العالم الإسلامي.

إن من بين ما بحثه اركون هو إقامة علاقة بين الساحة الفكرية الإسلامية والعلمانية أي بحث غرس مفهوم العلمانية بكل تفاصيله داخل الساحة الفكرية الإسلامية، **فما هو الغرض من هذه العلاقة حسب محمد أركون؟ أو بصورة أخرى لماذا يسعى أركون إلى علمنة الفكر الإسلامي؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات جاءت كالآتي:**

- ما مفهوم العلمانية؟
- ما مفهوم الحداثة؟
- ما واقع الحداثة في الساحة الفكرية الإسلامية؟

وللوصول إلى تقديم دراسة وإجابة لهذه الإشكالية وهذه التساؤلات اتبعنا المنهج التحليلي باحثين من خلاله الوقوف عند كل جزئيات هذه الإشكالية وكل جزئيات وجهة نظر أركون من هذا الموضوع.

كما نهدف من خلال هذه الدراسة إيضاح وجهة نظر أركون اتجاه ثلاث كلمات مفتاحية لكل واحدة منها ثقل كبير سواء في الساحة الإسلامية أو العالمية وهي :الفكر الإسلامي ،العلمانية الحداثة.

1- في مفهوم العلمانية والحداثة:

أ-مفهوم العلمانية:

أ-لغة:العلمانية بفتح العين لا كسرها فهي ليست منسوبة للعلم بل إلى العالم،والنسبة للعالم ينبغي أن تكون العالمية،في المعاجم الأوربية الأجنبية العلمانية رديفة للفظ SECULARISM وتعني الدنيا أو العالم الآني وأصل الكلمة SACCULUM باللغة اللاتينية وتعني العصر أو الجيل ولكنها

تحولت في القرون الوسطى لتعني العالم أو الدنيا،ومنها SECULAR أي علماني وTEMPORAL أي مهتم بالزمن ،مهتم بهذا العالم بدل الدين (البار، 2008، صفحة 26).

أما من الناحية الإصلاحية فيعرفها أركون بأنها : أولا وقبل كل شيء إحدى مكتسبات الروح البشرية ...موقف للروح وهي تناضل من أجل امتلاك الحقيقة أو التوصل إلى الحقيقية (أركون، 1996، الصفحات 9-10)،وعليه فالعلمنة هي بحث عن الوصول للحقيقة وامتلاكها وهي تجسيد للموقف الذي تنشده الروح حول الحقيقة.

يتفق العديد من الفلاسفة والمفكرين على أن مصطلح العلمانية هو الترجمة للكلمة الإنجليزية SECULARISM بمعنى الدنيوي والعالمي والواقعي -من الدنيا والعالم والواقع- المقابل للمقدس أي الكهنوتي النائب عن السماء والمختار لسلطتها والمالك لمفاتيحها (عمارة، د ت، صفحة 5) .

ب- **مفهوم الحداثة: أ- لغة:** من الفعل الثلاثي حدث والحديث نقيض القديم،حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة والحدوث يعني كون الشيء لم يكن وعليه فالحداثة نقيض القدم (منظور، د ت، صفحة 131).

ب- اصطلاحا: أما من الناحية الاصطلاحية فيرى محمد أركون أن الحداثة هي بث الحيوية في التاريخ وهي تعني الحركة والانفجار والانطلاق (مسرحي، 2006، صفحة 26).

2- معضلة التحديث في الفكر الإسلامي:

من المتفق عليه بين المؤرخين أن تاريخ الشعوب العربية الإسلامية في القرنين الأخيرين هو تاريخ مشروع تحديثي شامل ولكنه لم يكتمل بعد (مسرحي، 2006، صفحة 123)، ومن بين الساعين لهذا المطلب نجد المفكر الجزائري محمد أركون(2010/1929) الذي رأى أن الفكر الإسلامي تعترضه عواقب لكي يصل إلى التحديث والحداثة ودخول العصر ،وهذه في رأيه مشكلة كبيرة وهذا ما أكده في كتابه "الإسلام والحداثة" حين أكد أن أخطر مشكلة تواجه العرب والمسلمين هي مشكلة دخول العصر بكل ما للكلمة من معنى (مسرحي، 2006، صفحة 123)،وعليه ما هي هذه العواقب حسب محمد أركون؟

يرى محمد أركون أنه رغم وجود مظاهر الحداثة في الساحة الفكرية العربية إلا أن هذه الأخيرة لم تعرف حداثة رصينة حقيقية، ودليل ذلك عجزها عن إخراج دولة ومجتمع حديثين ودليل هذا عدم نزع الإرث القديم الذي ما زال يسيطر على العقلية العربية الإسلامية للفرد والمجتمع ،ويظهر ذلك من خلال السيطرة الكلية للأصوليين على الساحة الفكرية بالطول والعرض دون منافس هذا

ما قتل حسب أركون روح الفكر الحر والفكر النقدي وهذه أكبر مشكلة تعيق المشروع الحداثي الإسلامي.

لكن هذا لا يعني هذا انعدام المحاولات الباحثة عن التحديث إلا أنها حسب أركون خجولة لم تستطع الوصول إلى عمق التراث الإسلامي وفي هذا يقول أركون:"وراح المستشرقون يصفقون لنجاحات تلاميذهم ...ولكن هذه النجاحات كانت نسبية جدا في الواقع ،أقصد بالتلاميذ هنا شخصيات مثل: طه حسين وزكي مبارك وبشير فارس فقد قلدوا منهجيات أساتذتهم المستشرقين وحاولوا ترجمتها وتطبيقها على الأدب العربي والتراث الإسلامي ولكن الإسلام وتراثه لم يتأثرا ولم يمسا كثيرا بهذه المحاولات الخجولة" (أركون، 2000، صفحة 171).

يرى محمد أركون أن المنهجية التي نقل بها المثقفون المسلمون الحداثة الغربية إلى الساحة الفكرية العربية الإسلامية منهجية تجاوزها التاريخ ،كما أن النقل كان مباشرا وكان زرعا ومحاولة تأصيل مباشر دون مراعاة للاختلاف الكبير بين البيئتين الفكريتين ،وكل ما حدث لهؤلاء يتلخص في قول محمد أركون "فبعد أن جاءت البعثات من مصر ولبنان وغيرها إلى أوربا انبهر المثقفون المسلمون من هذه الحداثة ،فنقلوا منها إلى لغاتهم وبلادهم ما استطاعوا نقله أو فهمه أو استيعابه ولكنهم قطعوا فكر الحداثة الأوروبية عن سياقه الطبيعي إذ زرعوه في سياق آخر هو السياق العربي الإسلامي" (أركون، 2000، صفحة 171).

يرى أركون أن هذه المحاولات لم تأتي بالشيء الذي تبحثه الحداثة وهو خلق الفكر الناقد لكل موروث ولكيفية فهمه. نفس الشأن بالنسبة للموروث الإسلامي الذي لم تستطع المحاولات التحديثية مسه بالقدر المرجو منها ،وخير دليل على هذا الفشل حسب أركون هو"أنه لو فعل ذلك لما انفجرت الحركات الأصولية الحالية بمثل هذه القوة والعنف لو أن التراث العربي –الإسلامي تعرض لمسح تاريخي شامل ولإضاءة نقدية تاريخية شاملة لما حصل ما حصل لاحقا- " (أركون، 2000، صفحة 171)،وعليه فحسب أركون لو حصل التنوير الإسلامي ونجحت تلك المحاولات لما ظهرت الأصولية التي هي العائق الكبير للحداثة الفكرية الإسلامية حسب أركون،وعليه حدوث العكس كما قلنا سابقا غيب وقطع الطريق أما الحداثة الفكرية الإسلامية ،وفسح المجال للأصولية للسيطرة على الساحة الفكرية والتشبث بالموروث أكثر فأكثر بالتالي قتل لكل روح نقدية.

ويضرب لنا محمد أركون مثالا عن المسيحية الأوروبية التي عجزت عن توليد حركات أصولية، لماذا هذا؟بكل بساطة يجيب أركون لأن العقل التنويري مر من هنا،ولأن منهجية النقد التاريخي أصابت المسيحية في العمق وعزلتها ونفضت عنها ركام القرون وهذا ما لم يستطع النهضويون

العرب والمسلمون أن يفعلوه بالنسبة للتراث الإسلامي حتى الآن (أركون، 2000، صفحة 171)،وعليه فإن أركون يرى بأن المجتمع العربي الإسلامي بصفة عامة يعيش تقلصا واضحا في الأطر الاجتماعية للمعرفة "بمعنى أن المجتمع نتيجة أزماته وفقره وهمومه لم يعد يستطيع أن يفتح صدره للفكر الحر والنقدي وإنها فقط للفكر الأصولي التقليدي الموروث أبا عن جد" (أركون، 2000، صفحة 172)وبيئة كهذه البيئة يستحيل أن تقوم فيها حداثة فكرية مادام هناك استسلام للأصولية وكسل وخمول وعجز أحيانا عن بناء فكر نقدي حر وعليه فتغيير الذهنية والجو الذي يسود الوسط وحده الكفيل بظهور الحداثة الفكرية وعليه فالسبيل للحداثة حسب أركون هو الانتصار على الاصولية من خلال كسر سر سيطرتها على العقول والأذهان وكل الساحات الفكرية والعلمية .

يرى أركون أن تنويرنا زال أيام العباسيين الأوائل والفاطميين والأندلسيين وهذا ما أدى إلى زوال النزعة الإنسانية من فكرنا وعقلنا وأفقنا ودخلنا في عصور الانحطاط الطويلة والتي هيمن عليها فكر الفقهاء اللاهوتيين المضاد للفلسفة وكل نزعة إنسانية (أركون، 2011، صفحة 9)،فما السبيل إلى الخروج من هذه السيطرة وإعادة الفكر التنويري وبث النزعة الإنسانية والوصول إلى الحداثة الإسلامية يا محمد أركون؟

3- العلمانية حل الحداثة :

يرى محمد أركون أنه لا يجيب التسرع في تحديث الفكر العربي والإسلامي لأن هذا يتطلب بحثا طويلا مدروسا أي يتطلب دراسة مستفيضة للواقع العربي والإسلامي وتفتيت المعضلات والعقبات التي تعيق تحديث الفكر الإسلامي وتجاوزها لتجسيد الحداثة في جو مهيأ تكون فيه القابلية لا الرفض والنقد وحتى تكفير المفكرين الذين يبحثون تحديث الفكر الإسلامي وعليه القضاء على هذه السيطرة الأصولية هو وحده الكفيل بفسح المجال للتحديث والحداثة ،كما يرى أركون أن هذه السيطرة الأصولية لا تعني توقيف الحداثة والابتعاد عنها مثلما فعل"المثقفون الحداثيون الذين خافوا وتراجعوا وراحوا يقدمون تنازلات للتيار التبجيلي التقليدي الذي أخذ يكتسح الشارع هذا ما تجلى في كتابات العقاد وحتى في كتابات طه حسين (أركون، 2000، الصفحات 171-172)

إن بلوغ التحديث كما رأى أركون لا يتأتى مباشرة من خلال إسقاط سطحي ،وإنما يتأتى من خلال الوصول إلى الجوهر ونقده وفك شفراته وتغيير نمط تفكير العقل الإسلامي ،وخير مثال ما سبق ذكره حول التراث المسيحي الذي فك شفرته العقل التنويري هذا ما أقره أركون وحاول زرعه في الوطن الإسلامي ،حيث يبحث تغيير وجهة النظر السائدة التي سمحت للأصولية من السيطرة على

كل مجالات الفكر ومراكزه من خلال بعث فكر حر نقدي ،ولكي يصل أركون لهذا وجه نظره للجانب السياسي والجانب الاجتماعي بحثا عن تجهيز جو يكون مناسب لنقد التراث الإسلامي.

يرى أركون أن هناك شروط للوصول لفكر نقدي حر يقودنا لتحديث الفكر الإسلامي ولعل من أهم الأفكار الجوهرية التي رأى فيها أركون أنها السبيل لبلوغ التحديث على كل المجالات فكرة العلمنة أو العلمانية لما تحويه هذه الأخيرة من إشكالات وتقابلات يرى فيها أركون أنها الحل للعقبة التي تعترض فكر التحديث لما تحمله هذه الأخيرة من دفع كبير للنظر لما هو دنيوي مادي واقعي بعيدا عن كل ما هو ديني وعليه كيف نظر محمد أركون للعلمانية؟

يرى محمد أركون أنه يمكنك أن تكون علماني حتى وإن كنت مسلما ولا يرى هناك أي تعارض بين أن تكون إسلامي من جهة وعلماني من جهة أخرى في نفس الوقت ،فهو يرى أن العلمانية تساير كل حياته فنجده يقول في كتابه "العلمنة والدين" :"أنا مدرس علماني يمارس العلمنة في تعليمه ودروسه وهذا يشكل لي نوعا من الانتماء والممارسة اليومية في آن معا أود أن أقول ذلك منذ البداية لأنه يمكن أن يعتقد بعضهم أنه لا يمكن أن أكون ضمن خط العلمنة بسبب انتمائي الإسلامي " (أركون، 1996، صفحة 9)،هنا نلمس الأثر الكبير للفكر الغربي في فكر وحياة محمد أركون والانبهار الكبير من العلمانية الغربية بكل ألوانها التي صبغت بها مجالات الحياة ومجالات الفكر، حيث أن عيشها وصبغ الحياة بها هو أقصى مراحل الامتثال لصوت الروح البشرية كون العلمانية تعد من فتحاتها وإبداعاتها ،وما سعت لبعثه في واقعها على حد قول أركون :"العلمنة هي أولا وقبل كل شيء إحدى مكتسبات وفتوحات الروح البشرية" (أركون، 1996، صفحة 9).

وعليه فالعلمانية تمثل حسب أركون انتصار للعقل البشري ولحظة من لحظات إبداعه وتحرره من كل موروث قتل روحه البحثية النقدية الإبداعية أي اكتساب الجرأة في استخدام العقل للوصول للحقيقة، ومناقشة كل حقيقة مطروحة وهذا ما يظهر في تعريف أركون للعلمنة بأنها"موقف للروح وهي تناضل من أجل امتلاك الحقيقة أو التوصل إلى الحقيقة " (أركون، 1996، صفحة 10) وعليه إذا كانت العلمانية تناضل من أجل امتلاك والتوصل للحقيقة فما هي هذه الحقيقة حسب أركون؟

يرى أركون أن العلمانية تواجه مسؤوليتين اثنتين أو تحدين اثنين :

أ- الأولى هي :كيف نعرف الواقع بشكل مطابق وصحيح (أركون، 1996، صفحة 10)؟ أي معرفة حقيقة الواقع والتوصل إلى حقيقة الواقع،أي كيف نصل إلى معرفة تحظى بالتوافق الذهني والعقلي لكل النفوس الباحثة عن الحقيقة ،وهنا يرى أركون

أنه على الباحث أن يتجاوز كل الخصوصيات الثقافية والتاريخية وحتى الدينية حتى وإن كان ولد فيها ،أي بحث الحقيقة دون النظر إلى أي مبادئ وانتماءات حتى إن كانت مقدسة .

ويقول هنا أركون حول هذه النقطة :"هذه هي النقطة الحاسمة التي أريد النص عليها أولا وهي التي تبين لنا أن العلمنة هي شيء آخر أكبر بكثير من التقسيم القانوني للكفاءات بين الذرى المتعددة في المجتمع إنها وقبل كل شيء مسألة تخص المعرفة ومسؤولية الروح " (أركون، 1996، صفحة 10)،ومعنا هذا أن العلمانية توجه مطلق نحو المعرفة دون النظر في أي ضابط أول موروث مهما كانت قدوسيته.

ب- أما المسؤولية الثانية:هي أنه بعد أن نتوصل إلى معرفة ما بالواقع فإنه ينبغي أن نجد صيغة أو وسيلة ملائمة لتوصيلها إلى الآخر دون أن نشرط حريته أو نقيدها" (أركون، 1996، صفحة 11).

وعليه يرى محمد أركون أن العلمانية هي التوجه للواقع دون النظر للاواقع وبحث عن الحقيقة من جهة ،وبحث عن طرق وصيغ ايصالها دون المساس بحريات الآخرين انطلاقا من كون العلمانية تدعو للفكر النقدي الحر البعيد عن كل قيود ومرجعيات سواء كانت اجتماعية أو حتى دينية ،أي خلق باحث يركز نظره على المعرفة فقط ويخوض كل دروبها ويدخل أي حقل معرفي مهما كان نوعه ومهما كان مصدره .

يعتقد محمد أركون أن قضية العلمانية تبقى مسألة حاضرة وملحة فيما يخص العالم الإسلامي بشكل عام ،لأنها تسهم في تشكيل الدولة بالمعنى الحديث لكلمة دولة ،إذ يرى محمد أركون أن الحكومات الإسلامية فرض عليها قانون قسرا وهو القانون المقدس هذا الأخير الذي جعل كل المجتمعات الإسلامية لا تسمح بأي نوع من أنواع العلمنة يقول محمد أركون:"هذا الكلام صحيح إذا ما قبلنا بالتحديدات التقليدية للقانون المقدس المفروض قسرا على كل أنواع الحكومات السائدة في المجتمعات الإسلامية " (أركون، 1986، صفحة 179)،ومنه حسب أركون فإن بعض الأطراف حولت القيم الروحية للدين إلى قيم إيديولوجية دافعت بها وجسدت وقوة بها أنظمة اجتماعية وسياسية معينة لخدمة مصالحها وضمان تمسكها بالسلطة والحكم وقتل كل محاولة تغيير قد تمس مصلحة هذا النظام .

يعطينا أركون مثالا على استبدال القانون المقدس بالعلمانية وهو ما حدث وفرض مع الثورة الفرنسية التي وضعت العلمانية كبديل سياسي وفلسفي عن النظام القديم الذي سيطرت عليه الكنيسة ،حيث أصبح الاقتراع العام مصدر السيادة العليا والهيبة في المجتمع بدلا من الوحي المؤول الذي طبق طيلة القرون السابقة من قبل السيادات الروحية ،من خلال ما يعرف بالنظام الملكي المقدس الذي حسب أركون قتل كل محاولة تغيير سياسي واجتماعي يحاول تغيير النظرة المقدسة إلى نظرة عقلية نقدية حرة تبحث نظام سياسي من الواقع وموجه نحو الواقع ،وحسب أركون إعدام لويس العاشر هو رمز موت النظام الملكي المقدس (أركون، 1986، الصفحات 179-180) ،لكن هنا نتساءل هل يمكننا مقارنة المسيحية بالدين الإسلامي وتطبيق نفس الفكرة عليه؟

لا يرى محمد أركون أن العلمانية هي التفريق بين الدين أي الشؤون الروحية والدولة الشؤون الزمنية فقط لأن هذا التفريق موجود عمليا وواقعيا في كل المجتمعات يقول:"لا يعني أن يقسم كل فرد إلى قسمين منفصلين: الأول ديني لاهوتي والثاني علماني دنيوي " (أركون، 1986، صفحة 180)،إن هذا التضاد موجود اليوم على الساحة السياسية وهذا ما أكده أركون سابقا ،وهذا ما نجده في كل دولة إسلامية ،غير أن أركون هنا يصور لنا هذا من خلال المثال الفرنسي الذي تحمل أحزابه السياسية هذا التضاد في آن واحد.

يرى أركون بضرورة إيجاد أرضية صلبة تشكل لنا مشروعا يمكنه دمج هذا التضاد وكبحه ،هذا ما تجسد في الغرب حسب أركون حيث"أنه أصبح الآن جاهزا لدى كلا الطرفين في الغرب أي لدى الجانب العلماني والجانب المسيحي الديني على السواء فالعلمانيون قادرون على تمثل ودمج المنهجيات النقدية المطبقة على الأديان التقليدية وكذا الأمر نفسه فيما يخص العقول الدينية أو الشخصيات الدينية الكبيرة فهي تعمل في اتجاه تقوية العلمنة بصفتها مرحلة حاسمة وخطوة أساسية باتجاه تحرير العقل البشري من كل أشكال الوعي الخاطئ" (أركون، 1986، صفحة 180)،وعليه حسب أركون فالنموذج الغربي مثال جاهز عن التزاوج بين العلمانيين والمسحيين نحو تنوير العقل وقتل كل أشكال الفهم الخاطئ من خلال التشارك في مشروع واحد، يحاول أركون تجسيد هذه الأرضية الصلبة في المجتمع الإسلامي لخلق التزاوج بين الجانب العلماني والجانب الإسلامي فوق الساحة الفكرية والسماح للجانب العلماني فعل ما فعله في الغرب لنزع أشكال الوعي الخاطئ من الساحة الفكرية الإسلامية

يرى محمد أركون أن المجتمعات الإسلامية تعيش في علمنة وعلمانية حتى وإن لم يصرح بها ولم تكون صريحة إلا أن الواقع المعاش يؤكد ذلك، فبالرغم من بعض الأفكار والمظاهر التي تبين عكس

هذا إلا أنها حسب أركون مجرد قشور خارجية ،بالإضافة إلى تواجد بعض الحركات الأصولية والسلفية التي تنادي بتطبيق الشريعة الإسلامية كمنهاج وقانون واحد ووحيد لكل المجتمعات الإسلامية "لكن هذه الحركات بالذات هي علمانية في حياتها ومهنها ووظائفها وحاجياتها الأساسية" (أركون، 1986، صفحة 181).

إن هذه الحركات حسب أركون تعيش حياة ذات توجه مادي واقعي وهو ما يجسد المفهوم الجوهري للعلمانية كما أن حياتهم موجهة لخدمة متطلباتهم المادية وما هي إلا حياة استهلاكية.

4- تأصيل العلمانية:

إن ثنائية العلمانية والإسلام أو بالأحرى قضية العلمانية والدين الإسلامي هي قضية جوهرية في الفكر الإسلامي المعاصر إن لم نقل أنها من سمات وخصائص التي امتاز بها الفكر الإسلامي المعاصر هذه الأخيرة تعد مشكلة ذات أهمية كبيرة لأنها حياتية ومعاشيه كما عبر عنها أركون ينبغي حلها لأن"العلمنة تبقى مسألة حاضرة وملحة فيما يخص العالم العربي والإسلامي بشكل عام ...وذلك من أجل تشكيل الدولة بالمعنى الحديث لكلمة دولة" (أركون، 1986، صفحة 276)،وعليه هل لا يمكن تشكيل دولة إلا وفق النموذج العلماني ؟أم أن النموذج العلماني هو رمز التقدم وبوابة التحديث وبلوغ الدولة النموذج؟

يرفض أركون الفكرة القائلة بأن الإسلام دين ودولة ودين ودنيا وحياة واقعية لأنه يرى بأنه"لا تزال الجذور الكلاسيكية للنقاش الدائر حول الروابط بين الدين والدولة والدنيا غير مدروسة،وغير مضاءة،فيما يخص الإسلام بشكل جيد حتى الآن وقد أظلمت الصورة أكثر في وقتنا الراهن نتيجة هيجان المناضلين والإسلامويين الذين جعلوا من عبارة الإسلام دين ودولة شعارا إيديولوجيا لهم" (أركون، 1990، صفحة 45) ،وعليه فأركون يؤكد أن الدولة ظاهرة دنيوية أولا وقبل أن تكون ظاهرة دينية ،وما حدث سوى أن الدولة أو السلطة التي تحكم استعانت بالدين لتأصيل مشروعيتها،وفي هذا قدم أركون المثال المسيحي الذي يبرهن على قوله في العصور الوسطى والحديثة وحتى الآن وهو نفس الشيء في الدين الإسلامي،لكن هل من المعقولية الحكم على قيمة الدين الإسلامي من باب من استعمله في الجانب السياسي لخدمة أغراضه الخاصة؟

كما رفض أركون العلمانية التي تعني فصل الدين عن الدولة فقط كذلك رفض نوعا آخرا من العلمنة سماه بالعلمنة غير المتسامحة وهي علمنة إيديولوجية نضالية ولعل من أهم الأمثلة عليها في الوطن الإسلامي مثال العلمنة التي طبقها "مصطفى كمال أتاتورك "في تركيا والتي استوحاها من العلمانية الغربية حيث طبقها هذا الأخير عقب زوال الخلافة الإسلامية ويرى أركون "أن هذه

التجربة قد ذهبت بعيدا في جرأتها لكنها لم تكن في الواقع إلا كاريكاتيرا للعلمنة رافقته بعض التطرفات كما حدث سابقا في فرنسا" (أركون، 1986، صفحة 278) .

رغم هذا يرى أركون أن تركيا وأتاتورك حققا تقدما جريئا نحو قيمة من قيم الغرب وهي العلمانية بينما لم يفهم سائر العالم الإسلامي في ظل هذا شيئا من حركة الحضارة وظل مغلقا عن مواجهة تقدم الأفكار والمؤسسات، كما أن أتاتورك يعد أبا لتركيا الحديثة فقد انتشلها من النزعة العثمانية المحافظة ليلقي بها إلى الحداثة بمنهج واقتناعات ونماذج تظل موضوعا للنقاش وهذا ما يحسب لأتاتورك الذي كان جريئا في تحويلاته التي مس بها المجتمع التركي. (أركون، 1996، صفحة 44) إن هذه العلمانية كما رآها أركون لم تحمل سوى إصلاحات قصرية جاء أتاتورك مشبعا بها من الغرب وبالخصوص فرنسا وقد كانت هذه العلمانية علمانية نضالية مست الشكل لا الجوهر.

إن أركون يرى أن العلمانية التي جاء بها أتاتورك لم تحمل المطلوب وهو الفكر التنويري الحر بل على العكس من ذلك وضعت المجتمع التركي في دوامة يتخبط فيها بين التخلي عن الهوية الإسلامية وبين التلون بلون جديد هو اللون الغربي "لكن الشعب التركي لم يستجب لهذه التجربة التي دوخته، مما يفسر العودة الدينية العنيفة بدءا من عام 1940" (أركون، 1986، صفحة 278)،إن تجربة أتاتورك حسب أركون ساهمت في إرجاع القوة للتيار الإسلامي كونها جاءت عنيفة قصرية غير متسامحة فرضت بقوة على الشعب التركي الذي لم يعرف هذا النمط وهذا النموذج العلماني الجديد عليه ،الذي يتماشى مع العصر فرغم أن أركون يرفض التزمت واحتضان القديم، يرفض كذلك النمط القصري غير المتسامح وإنما يترك المجال للفكر التنويري الحر الذي من طرف الرغبة والفهم والتعقل، فكيف نصل حسب أركون لعلمنة مقبولة ؟

ينطلق أركون في تفصيله لمفهوم العلمانية التي يبحثها من الأبستمولوجيا لكي يفصل بين الشعب ورجال الدين حيث يرى أن الشعب دائما بحث على عدم تدخل رجال الدين في حساباتهم وبحث عن انشاء حياة مدنية أو نظامية هذا ما تؤكده" كلمة laïcos الكلمة اليونانية التي تعني الشعب ككل ما عدا رجال الدين نفس الكلمة نجدها في لاتينية القرن الثالث عشر laïcus التي تعني الحياة المدنية أو النظامية (أركون، 1986، صفحة 291)،وعليه نلاحظ استمرارية المعنى الذي يحيلنا للتمييز بين الشعب الذي يعيش حياته الخاصة وبين رجال الدين الذين يتدخلون في هذه الحياة لضبطها ،كما أن التاريخ يؤكد لنا أن الشعب بكل طبقاته ومهنه كان على أمر التاريخ في خدمة رجال الدين.

يرجع أركون تدخل رجال الدين في حياة الشعب إلى سبب واحد هو أنهم يكتبون في حين أن الشعب يمتلك ثقافة شفهية يقول أركون "هذه الكتابة هي التي تتيح لرجال الدين امتلاك سلطة حقيقية، أي سلطة الهيمنة والتدخل في حياة الشعب" (أركون، 1986، صفحة 291)، ولا يقصد هنا أركون القدرة على الكتابة أو معرفة الكتابة وأيضا الكتابة لم تكن ميزة ثقافية .

يقصد أركون من خلال الكتابة المضمون المعرفي المحتكر من طرف رجال الدين والخاص بهم دون غيرهم، كون أن مضمون ما يكتبون ينطوي كما يرى أركون على بعد سحري وديني مقدس يأسر العقول والقلوب ويسيطر عليها كونه مقدس لا ينتقد بل يعتقد فقط ويعمل به على أنه قانون كلي خالص ،فقد مثل رجال الدين مصدرا للعلم والطب وكل شيء يخص الحياة الإنسانية ومع الوقت تشكل غلاف أحاط برجال الدين غلاف مقدس لا يمكن التشكيك في كلما يخرج من ثناياه ولا يمكن نقده أو دراسته بل يجب التسليم به والعمل وفقه، وبهذا فقد الإنسان حقه العميق في المعرفة والفهم هذا ما تبحث العلمنة إرجاعه للشعب وللإنسان حسب أركون وهذه هي العلمنة التي يبحثها أركون والتي تشكل ضرورة ملحة في الوطن الإسلامي .

يرى أركون أن العلمانية هي السبيل لكسر هذه السيطرة التي فرضت على الإنسان من طرف رجال الدين فقد سلب حق الفهم والنقد والتفكير الحر من طرف الإنسان تحت حجة التقديس، فحسب أركون أن هذه السيطرة حجبت على ذهن الإنسان التفكير النقدي الحر كما قتلت فيه تلك الإرادة التي تمس جانب المعرفة والفهم.

خاتمة:

وختاما ومن خلال ماسبق دراسته حول العلمانية نصل إلى جملة من النتائج أهمها :

أن الحداثة حسب أركون لا تتأتى في الوطن العربي والإسلامي إلا من خلال بحث دقيق مطول،و أن التحديث لن يحدث إلا من خلال تغيير العقلية الفكرية للإنسان الباحث والمفكر الإسلامي للانفتاح على فكر حر فكر نقدي يحترم الرغبة الإنسانية في الفهم ،وهذا ما تضمنه العلمانية التي يبحثها أركون والتي حسبه تعد بوابة التحديث في الوطن العربي والإسلامي كونها تسمح بإزالة كل غلاف مقدس يحجب العمل النقدي والفهم ،وعليه إدخال المناهج الغربية التي اكتست بها ساحة العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية على الساحة الإسلامية .

كما نصل إلى نتيجة مفادها أن محمد أركون إلى حد بعيد يحاول تجسيد النموذج العلماني الغربي بكل صوره وألوانه على الساحة الفكرية الإسلامية حيث نجده دائما يؤكد موقفه بالمثال الغربي اتجاه المسيحية ،إن أركون يجعل هذا المثال كحجة تمثيلية وتاريخية في نفس الوقت لكي يقوي

طرحه الداعي وإن كان بوجه آخر إلى تتبع الاثر الغربي لبلوغ الحداثة هذه الأخيرة التي يرى أن ما يعترضها في الوطن الإسلامي هو المد الأصولي الذي تنكر للحداثة والتحديث والحل لإزاحته وتنحيته من طريق الحداثة هو المشروع العلماني ،أي زعزعة الثقة المقدسة بين الفرد والدين فهل يمكن أن نتصور أن هناك تماثل بين المسيحية والساحة الغربية من جهة وبين الدين الإسلامي وتعاليمه وبين من يتخذونه مصدرا لكل أفكارهم من جهة أخرى ونطبق ما يصلح على الغرب ليصلح على الوطن الإسلامي؟

قائمة المصادر والمراجع:

إبن منظور. (د ت). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

فارح مسرحي. (2006). الحداثة في فكر محمد أركون. الجزائر: منشورات الاختلاف.

محمد أركون. (1990). الإسلام الأخلاق والسياسة. (المترجم ،هاشم صالح)، بيروت: مركز الإنماء القومي.

محمد أركون. (1996). العلمنة والدين الإسلامي المسيحية الغرب. (المترجم ،هاشم صالح)، بيروت: دار الساقي.

محمد أركون. (1986). الفكر الإسلامي قراءة علمية. (المترجم ،هاشم صالح)، بيروت: مركز الإنماء القومي.

محمد أركون. (1986). تاريخية الفكر العربي الإسلامي. (المترجم ،هاشم صالح)، بيروت: مركز الإنماء.

محمد أركون. (2000). قضايا في نقد العقل الديني،كيف نفهم الإسلام اليوم. (المترجم ،هاشم صالح)، بيروت: دار الطليعة للنشر والطباعة.

محمد أركون. (1996). نافذة على الإسلام. (المترجم ،صياح الجهيم)، لبنان: دار عطية للنشر.

محمد أركون. (2011). نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية. (المترجم ،هاشم صالح)، بيروت: دار الساقي.

محمد علي البار. (2008). العلمانية جذورها وأصولها. دمشق.

محمد عمارة. (د ت). العلمانية بين الغرب والإسلام. الكويت: دار الدعوة للنشر والتوزيع.